قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (النقد الاجتماعي) السنة الثالثة ليسانس، تخصص:نقد ومناهج

إعداد الدكتورة:دلال فاضل

المحاضرة رقم: 06

يوم: 2021/02/08

الأفواج: 01-02-03-04

عنـــوان المحاضرة: بليخانوف نظرية الانعكاس

الهدف من المحاضرة:

-معرفة الطالب الرؤية الأدبية الانعكاسية والرؤية الأدبية الإيديولوجية المتعلقة بقصة مرجعية الأدب.

تعد نظرية الانعكاس أولى المحاولات في التفكير الماركسي بتعبير الناقد المغربي حميد لحمداني، فقد تأسست "منذ بداية انتشار الفكر الماركسي وخاصة عند أحد رُواد التطبيق العملي في الواقع، وهو فلاديمير إليتش لينين... فقد كتب بحثا دالا في هذا المقام بعنوان "ليون تولستوي مرآة الثورة الروسية وضح فيه أن تولستوي استطاع في مؤلفه أن يعكس جميع التناقضات التي كان المجتمع الروسي يمر بها أثناء الثورة". وترى نظرية الانعكاس الأدب بوصفه "شيئا لاحقا للمراحل الاجتماعية التي يعكسها، وهذا يعني ضمنيا إهمال دور الأدب بالنسبة لمستقبل المراحل التي يعمل على عكسها، وهو السبب الذي جعل النقد الانعكاسي يعطي أهمية بالغة لمضمون الأدب والانشغال بمقارنته مع معطيات الواقع الماضية أو المتزامنة مع النص وإغفال العناية بالوسائل التعبيرية والفنية".

فهذا التصور للأدب من منظور نظرية الانعكاس كما أورده الناقد المغربي حميد لحمداني في كتابه "الفكر النقدي الأدبي المعاصر مناهج ونظريات ومواقف"، يحصر الأدب في كونه انعكاسا للحياة الاجتماعية، وعلى ناقد الأدب من هذه الوجهة أن يهتم بالمعطيات المضمونية والإيديولوجية، ويهمل القيم الجمالية للنص الإبداعي التي تميزه عن غيره داخل الجنس الأدبي وعن باقي الخطابات أيضا. فهذه الرؤية تندرج ضمن النقد الجدلي الذي تؤطره الفلسفة المادية الجدلية و"نظرتها لعلاقة التناظر بين البنية التحتية والبنية الفوقية للمجتمع. هذا النقد الذي يعد فلاديمير لينين (1870-1924) أحد رواده، إذ إنه تأثر بطروحات كارل ماركس، وفريدريك إنجلز، وهيغل، فقد أسهم بشكل جلي في تأسيس النظرية الأدبية الانعكاسية عبر تعامله مع النصوص الإبداعية وفقا لمنظور إيديولوجي صرف، فتصوراته النقدية مرتهنة بالمعايير الإيديولوجية السياسية، إذ إنه يهتم بمختلف الصراعات الاجتماعية المبثوثة في النص الأدبي، وتحديد موقف صاحب النص من تلك الصراعات، طارحا مفهومي المرآة والانعكاس الفعال ليستثمرا في المقاربات السوسيولوجية القائمة على

استجلاء المكونات الإيديولوجية في المجتمع "ومقابلتها بالإيديولوجيات التي تضمنتها" الأعمال الروائية، كون هذا التوجه النقدي انتعش بظهور جنس الرواية.

وبهذا المعنى فنقد لينين غايته "البحث عن الانعكاس الواقعي للمعطيات الخارجية في ثنايا النص، ومفهوم الانعكاس الواقعي يتطلب الابتعاد عن التصور الذي يتصف بالآلية، أي إن الكاتب يصور ما يحدث في زمنه فقط، بل يجب على هذا الانعكاس أن يكون أكثر نضجا في استيعابه للحقائق التاريخية. ليقترح مصطلح المرآة بقصد أن الروايات لا تعني فعلا وثائق تاريخية تماما، بل تنعكس فيها بصورة إنزياحية للأحداث التاريخية... فنقد لينين نقد سياسي إيديولوجي يهدف إلى تحديد موقف الكاتب من الصراع الاجتماعي".

وتأسيسا على طروحات لينين السابقة الذكر، فقد راجع الناقد الروسي جورج بليخانوف (1856-1918) معطيات النزعة الجدلية المطلقة مؤمنا بأن الأدب "مرآة الحياة الاجتماعية" محاولا "إعادة النظر في مفهوم الانعكاس مركزا على العنصر الدينامي الأساسي، وهو صراع الطبقات، وما ينتج عنه صراع للأفكار، فعوض أن يعكس الأديب صورة المجتمع كما هي حاصلة في الواقع، فإنه ينخرط في الصراع الاجتماعي ذي المظهر الإيديولوجي، ومعنى ذلك أنه من الناحية المبدئية يعبر عن الطبقة التي ينتمي إليها".

وقد مارس جورج بليخانوف نقدا "يتجه مباشرة إلى القول بضرورة أن يعبر الأدب عن الايديولوجيا الثورية. إذا ما أراد أن يدرج في نطاق ما يسمى أدبا حقيقيا، وهذا ما يجعل القيمة الأدبية مشروطة بالوظيفة الاجتماعية". ففي سياق مقاربته رواية "ما العمل" لـ تشيرنيفسكبي اهتم بالوظيفة الإيديولوجية للرواية ومضامينها، والكشف عن دلالاتها الاجتماعية، وتحديد مرجعية المؤلف، فانحصر نقده بالاهتمام بمسألة المرجعية الاجتماعية للنصوص الروائية ومضامينها.

وفي سياق محاولته تجاوز نقد لينين دعا إلى "ضرورة الربط بين النقد الجمالي والنقد السوسيولوجي، باعتبارهما عنصران ضروريان متلازمان ومتكاملان لأي عملية تهدف إلى تقييم الإبداعات الفنية والأدبية". فهذه الدعوة تؤشر على وعي بليخانوف بأهمية المعطيات الجمالية في قراءة النصوص الإبداعية، لكن دعوته تلك كانت على الصعيد النظري، إذ إنه على صعيد الممارسة النقدية يهمل تماما الاهتمام بالجانب الشكلي وبالمكونات الداخلية للأعمال الأدبية التي تضفي عليها خصوصية نوعية، وهو ما أطلق عليه "بالمعادل الاجتماعي للظاهرة الأدبية، وقد حدد الباحث أحمد الجرطي في كتابه "تمثلات النظرية الأدبية الحديثة في النقد الروائي المعاصر" عاملين اثنين يؤكدان عدم وفائه لدعوته تلك، وهما:

- "يعتبر بليخانوف مسألة التقييم الجمالي للنص الروائي مرتبة هامشية، إذا ما قورنت بالمرتبة الأساسية المتمثلة في اكتشاف الوظيفة الاجتماعية للأدب.
- العامل الآخر يتمثل في كون بليخانوف عند تحليله للرواية كان متسرعا في استخلاص بعدها الفكري، مما جعله يقع مطب الرؤية الانعكاسية التي هيمنت طويلا على النقد الواقعي، ويتعامل مع الأدب باعتباره وثيقة سياسية أو فكرية تنقل الواقع الخارجي بطريقة مباشرة متجاهلا بذلك استقلاليتها وتفردها".

وبهذا المعنى فنقد بليخانوف يندرج ضمن النقد الجدلي، والنقد الجدلي المتشدد سياسيا في سياقات مقاربته روايات تولستوي كما أشار إلى ذلك الناقد عمر عيلان فنقده "يوجه النقد الروائي للبحث عن القيم الإيديولوجية بالدرجة الأولى، أكثر من أي عنصر آخر. فالرواية في تصوره نص ايديولوجي يحمل رؤية واحدة هي رؤية كاتبه وموقفه".

المراجع المعتمدة:

1-عمر عيلان: الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي.

2-أحمد الجرطي: تمثلات النظرية الأدبية الحديثة في النقد الروائي المعاصر.

3-حميد لحمداني: الفكر النقدي الأدبي المعاصر مناهج ونظريات ومواقف.